العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

"التسيير والتخيير وفق مصادر الشريعة وآثار الفهم الصحيح لمعنيهما على حياة المسلم"

إعداد الباحثة:

د. فاطمة عبدالله عاشور

أستاذ مشارك في كلية الآداب – قسم المواد العامة

دراسة بحثية من متطلبات الحصول على الترقية

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ملخص الدراسة:

تبحث هذه الدراسة في مفهوم التسيير والتخيير وعلاقتهما بالقدر، وتهدف إلى كشف معناهما في القرآن والسنة، كما تهدف إلى بيان أهمية الفهم الصحيح لهذين الأمرين ومدى تأثير ذلك الفهم الصائب على حياة المسلم ومن ناحية أخرى توضح مثالب سوء الاعتقاد المتعلق بهما مما قد يشكل انحرافات عقدية ونفسية ومشاكل اجتماعية .

ويسوق البحث جهدا حثيثا لتحديد الفوائد والمنافع التي تنتج من تصحيح الفهم لهذين المصطلحين ومضمونهما وتأثير هذا التعديل على حياة المسلم من جميع الجوانب وتقوم الباحثة بتفصيل هذه الجوانب في مجالات حياته المختلفة.

وهذا بلا ريب سيقدم منفعة عظيمة للعملية التربوية في تنشئة الأبناء أو في تهيئة الجيل الحالي ليكونوا ذوي معتقد سليم في شأن إرادة الإنسان أو عدم قدرته على الاختيار، وستفيد توصيات هذا البحث ونتائجه عناصر العملية التعليمية لتفنيد شوائب الفهم المشوه وما ينتج عنه من سلوك منحرف قد يفسد على الإنسان عامة والجيل الحالي خاصة دينه ودنياه.

وهكذا تظهر وتتجلى أصالة هذا البحث فالتسيير والتخيير مفهومان يستحقان البحث والدراسة وتعميم الاستفادات من ذلك البحث والتقصي تطبيقيا على الناحية القيمية والسلوكية سواء في مجال الأسرة أو في الحياة العامة بمناحيها المختلفة كمجال العمل والتعاملات.

المقدمة:

يعدّ القدر من أركان الإيمان الستة ومن الأمور التي تشكل محورا أساسيا ضمن الركائز التي ترتكزعليها عقائد الشرائع السماوية جميعها وآخرها وأهمها وناسختها وهي العقيدة الإسلامية، والإنسان خلقه الله تعالى مخلوقا مكرما ومنحه خصائص لم يجعلها لسواه سواء من ناحية القدرات العقلية أو النفسية أو الجسدية أو الروحية فهو مخلوق ذو قدرات عالية المهارات والقدرات، وهذا التميز يجعله قادرا على الاختيار ولديه إرادة وعقل يحسن التفكير والتخطيط وليس كأغلب الكائنات الأخرى ، وفي ذات الوقت خلق لطاعة الله وقد قدّر له كل مراحل حياته كما يعرف عموم الناس ، ونتج عن ذلك خلط كبير بين مفهومي التسيير والتخيير في أذهان المسلمين، وأدى ذلك لانحرافات عقدية في القناعات والتوجهات .

ولاشك أن ظهور الفتن الفكرية في هذا العصر بشكل صريح يدعو لوقفات في تبيين هذا الشأن وتوضيحه بما يضمن الفهم الصائب مما يعود على المسلم بالنفع والفائدة.

ومن ناحية أخرى فاستمرار الفهم المغلوط قد يورد الفرد والجماعة إلى موارد الهلاك والوقوع في حبائل الانحراف السلوكي والأخلاقي ناهيك عن الخطأ العقدي الناتج.

وكثير من الشوائب دخلت على نقاء الفكر الإسلامي بعد ظهور فرق الخوارج وشيوع الفكر الدخيل وغيرها من الأسباب التي دعت لذلك ، وظهرت نتائج عديدة ذات مردود يتصف بالسوء تنجلي على مستوى الفرد والجماعة .

وبعد فموضوع التسيير والتخيير والقدر والفهم الصائب لهذه المنظومة يستدعي البحث والتفكير مما سيقدم حلولا فكرية لذوي الفهم غير الصائب وعليه تظهر وتتجلى أصالة هذا البحث فالتسيير والتخيير مفهومان يستحقا البحث والدراسة وتعميم الاستفادات من ذلك البحث والتقصي.

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الفصل الأول

الإطار النظري والمنهجي للبحث

أولاً: موضوع البحث:

يعدّ القدر والإيمان به من أركان الإيمان، كما يعد الإيمان بسيطرة الخالق على حياة الإنسان وتوجيهه وفق ما جرى به القلم مذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم صريف الأقلام تكتب مقادير البشر تكتبها الملائكة في البيت المعمور خلال رحلة المعراج أمر واجب التصديق ،فكل المخلوقات تسير وفق مشيئة الله وإرادته جلّ شأنه ، ولكن هذا التسيير ووجود الأقدار كحقيقة قد يتعارض في أذهان الخلق مع مبدأ الإرادة وحرية الاختيار لدى الإنسان وقد ينتج عن ذلك رؤى غير سليمة لا تتفق مع بنود العقيدة ومبادئ الشرع .

لذا في هذا البحث اختارت الباحثة أن تتناول هذا الشأن في الفرق بين مفهومي التسيير والتخيير ومناقشة الأسباب التي دعت لوجود خطوط من التقاطع غير الصحيح لدى البعض ،ويتضمن البحث أيضا تفصيل لمعنى التسيير والتخيير ومعنى القضاء والقدر ، ووجب البحث في ميدان الجبرية ومدى تعارضها مع حرية الاختيار .

ويسوق البحث جهدا حثيثا لتحديد الفوائد والمنافع التي تنتج من تصحيح الفهم لهذين المصطلحين ومضمونهما وتأثير هذا التعديل على حياة المسلم من جميع الجوانب وتقوم الباحثة بتفصيل هذه الجوانب في مجالات حياته المختلفة.

ثانياً: أهمية البحث:

يصحح هذا البحث بتناوله لهذا الشأن المهم والمثير للفتن منذ قرون عديدة الفهم غير الصائب عند عديد من الأذهان التي توهمت فهما وبالتالي وضعت قناعات فاسدة ومجانبة للشرع ، وسنت أسسا فكرية لمعاني التسيير والتخيير تنافي ماورد في القرآن الكريم والحديث النبوي.

ولا جدال في أن موضوع التسيير والتخيير قد تم تناوله من قبل في عشرات البحوث فتناوله

بالبحث والتفصيل لا يعد سابقة، ولكن تعدد الدرات والبحوث السابقة لا يلغي أصالة هذا

البحث وأهميته كونه سيبحث في تحديد الآثار النافعة التي تطال حياة المسلم مما سيشكل

مرجعا مهما لإقناع من تعمق خطؤه في التفريق بين المعنيين وتصحيح دلالتهما ، كما أن

هذه الآثار تعين على خلق آفاق جديدة من مجالات النجاح في الحياة وحدوث الرضا وتوفر

الاستقرار النفسي.

لذا سيكون البحث مرجعا موضوعيا لكيفية تسخير الفهم الصائب لهذا الموضوع لتبديد ركام

السحب القاتمة من الحيرة والتي هطلت عذابا من ريح فيها اتجاهات فاسدة عقديا وسلوكيا

، ومن ناحية إضافية يقدم نصائح وتوصيات لابتكار مقومات تعين على الحياة بشكل ناجح والاستعداد للآخرة بجدية ظاهرة بنفس مستقرة وعقيدة صحيحة وسلوك قويم بعون الله تعالى.

ثالثاً: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تأصيل معنى التسيير والتخيير وتحديد الآثار النافعة التي تنشأ عن تصحيح معنى التسيير والتخيير على حياة المسلم.

وينبثق من هذا الهدف عدة أهداف أخرى تتلخص في الآتي:

- بيان معنى القضاء والقدر وحكم الإيمان بهما.
- تأصيل معنى التسيير والتخيير وبيان معناهما في الشرع.
- توضيح مفهوم الجبرية ومعناها ومداها.
- بيان مفهوم حرية الاختيار والإرادة الإنسانية وفق مصادر الشرع.
- تفصيل أسباب التداخل واللبس بين معنى التسيير والتخيير.
- تبيين شبه المعتزلة وغيرهم في شأن التخيير.
- صياغة حلول ونصائح لتبيين معنى المفهومين للأذهان.
- شرح آثار وفوائد هذا التصحيح على جوانب عديدة من حياة المسلم فكريا وسلوكيا ونفسيا.

رابعاً: منهج البحث:

يعتمد هذا البحث المنهج الوصفي: في توضيح معنى القضاء والقدر وحتمية الإيمان به.

والمنهج الموضوعي : من خلال بيان مفهوم التسيير والتخيير في القرآن والسنة ومحاولة تأصيل معنيهما.

كما يتبع المنهج التحليلي والاستنباطي: في استقراء النصوص وصياغة النصائح

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

والفوائد التي تعين على تحسين حياة المسلم بجوانبها المختلفة.

خامساً – حدود البحث ومجاله:

يقتصر هذا البحث على دراسة مفهوم التسيير والتخيير والتفريق بينهما وتصحيح

المعنيين واستخدام التفكير المنطقي والعلمي ونصوص مصادر الشريعة لوضع فوائد تعين

على تحسين حياة المسلم من كافة النواحي.

سادساً: مصطلحات البحث:

التسيير:

لغة : مصدر الفعل سير ، يقال سار بهم سيرة حسنة، وسيّره من بلده أخرجه وأجلاه.

(الرازي، مختار الصحاح: ص246).

وفي الاصطلاح : تسيير الله تعالى لشؤون البشر ووضع مقاديرهم من قبل الأزل (الفتياني، الجمعية الأردنية لإعجاز القرآن والسنة: محاضرة).

التخيير:

لغة مصدر من الفعل خيّر وتخيير الشخص تعني جعل حرية الاختيار بين الأمور له (معجم المعاني الجامع ،ج4:ص166).

التَّخْيِيرُ: إِسْنادُ الاِخْتِيارِ وتَفْوِيضُهُ إلى الغَيْرِ، يُقال: خَيَّرَهُ في الأَمْرِ، يُخَيِّرُهُ، تَخْيِيراً، فهو مُخَيِّرٌ، أيْ: أَسْنَدَ إليه الاِخْتِيارَ، وخَيَّرْتُهُ بين الشَّيْئَيْنِ: إذا فَوَّضْتُ إليه اخْتِيارَ أَحَدِهِما. والاِخْتِيارُ: الاِنْتِقاءُ والاِصْطِفاءُ. والخِيارُ: طَلَبُ خَيْرِ الأُمورِ. وأَصْلُه: المَيْلُ إلى الشَّيْءِ. ويأْتي التَّخْيِيرُ بِمعنى التَّفْضِيلِ، يُقال: خَيَّرَ بين الأَوْلادِ، أيْ: فَضَّلَ بَعْضَهُم على بَعْضٍ.

واصطلاحا:"

التَّخْيِيرُ: "هو تَفْوِيضُ الأَمْرِ إلى اخْتِيارِ المُكَلَّفِ في الانْتِقاءِ بين أُمورٍ مُعَيَّنَةٍ شَرْعاً، ويُوَكَّلُ إليه تَعيينُ أَحَدِها بِشُرُوطٍ مَعْلومَةٍ، كتَخْيِيرِهِ بين خِصالِ الكَفَّارَةِ، وبين القِصاصِ والعَفْوِ، وتَخْيِيرِهِ في فِدْيَةِ الحَجِّ، ونحو ذلك"(معلمة مفردات المحتوى الإسلامي :ص234).

القضاء والقدر:

القدر مصدر من الفعل :قدَرْت الشيء قدْرا وقدَرا إذا أحطت بمقداره (العسقلاني–فتح الباري:1/118) .

والقدر في اللغة :"القضاء والحكم ومبلغ الشيء، والتقدير التروية والتفكر في تسوية الأمر"

(الفيروزابادي،القاموس المحيط:ص591).

والقدر في الاصطلاح: "ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، ومقادير الخلائق قدرها الله عز وجل مع علمه سبحانه بما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلمه بوقوعها في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها" (عقيدة السفاريني: 1/348).

المشيئة:

المشيئة مصدر من شاء، والمشيئة الإرادة، ومصطلح المشيئة يعني الإرادة الإلهية (معجم المعاني الجامع: ص112).

يقول تعالى (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)(النحل،40).

والمشيئة الإلهية هي المشيئة الكاملة فما شاء الله يكون ومالم يشأ لم يكن .

سابعاً – أسئلة البحث:

يسعى هذا البحث للإجابة على الأسئلة التالية:

– ما مفهوم القضاء والقدر وما حكم الإيمان بهما ؟

– ما تأصيل معنى التسيير والتخيير وأصلهما في الكتاب والسنة ؟

– ما معنى الجبرية وما مداها ؟

– كيف يمكن بيان مفهوم حرية الاختيار والإرادة الإنسانية وفق مصادر الشرع ؟

– لماذا يوجد لبس وسوء فهم في التفريق بين التسيير والتخيير ؟

– ما شبه المعتزلة وغيرهم في شأن التخيير ؟

– كيف يمكن صياغة حلول ونصائح لتبيين معنى المفهومين للأذهان ؟

– ما آثار وفوائد هذا التصحيح على جوانب عديدة من حياة المسلم فكريا ` وسلوكيا ونفسيا ؟

ثامناً: الدراسات السابقة:–

قامت الباحثة بمسح بعض المكتبات الجامعية والعامة ومركز العلوم والتقنية ومكتبة

الملك فهد للبحوث والدراسات وبعض المواقع البحثية ووجدت عشرات الدراسات التي تناولت بالبحث مواضيع ذات علاقة بالقدر وحكم الإيمان به، ومعنى التسيير والتخيير في الإسلام بشكل عام، لكنها لم تجد أية دراسات سابقة تتعلق بالآثار الإيجابية لتصحيح المفهومين على حياة المسلم ماعدا بعض المقالات العلمية المتناثرة.

واطلعت الباحثة على بعضها وتستعرض بعضا منها كما يلي:

1- الدراسة الأولى:

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب "صديق إبراهيم الفكي علي" في كلية الشريعة من جامعة أم القرى عام 1416هـ بعنوان (التخيير في الشريعة الإسلامية).

ويهدف البحث إلى تقديم قالب من التطبيق ضمن دراسة مهمة مقارنة في كيفية تطبيق قواعد التخيير في الحدود والقصاص والمعاملات والأحوال الشخصية، فيما عدا العبادات.

وانقسم البحث إلى ثلاثة أبواب وخاتمة شمل الباب الأول التعريف بالتخيير وأحكامه وشروطه وأركانه وتقسيماته، بينما اشتمل الباب الثاني على قواعد وضوابط التخيير، واحتوى الباب الثالث على فصلين وعدة مباحث تتضمن دراسة تطبيقية مقارنة فيما عدا العبادات.

وجاءت نتائج البحث تتلخص فيما يلي:

- وضع تعريف إجرائي للتخيير.
- بيان العلاقة بين التخيير والواجب المخير والمسنون والمباح.
- الحكمة في مشروعية التخيير تعود إلى التخفيف والتيسير.
- تقسيم التخيير إلى ستة أقسام باعتبارات مختلفة.
- للتخيير ألفاظ دالة عليه أهمها " أو ".
- بيان العلاقة بين القاعدة الفقهية والضابط الفقهي.
- التفاضل بين ما خير فيه وارد ولا ينافي التخيير وأيضا قد يتحول التخيير في الواجب إلى تعيين.

وهناك نتائج أخرى ظهرت للباحث من تطبيقات التخيير.

ويوصي البحث بمزيد من البحث والتقصي في هذا الموضوع، كما يوصي بمزيد من اهتمام بعلم القواعد الفقهية والنظريات الفقهية.

وعليه وكما تبين فإن دراستي هذه تختلف كليا عن تلك الدراسة كونها أي الدراسة السابقة لا تتناول آثار الفهم الصائب للتخيير والتسيير على حياة المسلم كما أنها اقتصرت على التخيير دون التسيير وناقشت القواعد وتطبيقاتها.

2- الدراسة الثانية مقدمة من الطالب "رياض صالح البلوي" وهي رسالة ماجستير أعدها الطالب في المعهد العالي للقضاء قسم الفقه المقارن في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية تحت إشراف الدكتور عبدالله بن ناصر السلمي، عام 1422-1423هـ.

عنوان البحث(أحكام التخيير في الزكاة والصيام)، ويهدف إلى بيان أحكام التخيير في بعض العبادات وتحديدا في عبادتي الزكاة والصيام وهما ركنان من أركان الإسلام.

واشتمل البحث على فصلين رئيسيين ومباحث عدة تفصل أحكام التخيير في الزكاة والصيام وكل ما يتعلق بهما وخاتمة من نتائج وتوصيات.

واقتصرت نتائج البحث على بيان الأحكام المختلفة للتخيير في الزكاة والصيام، وتوصيات تحث على عمل دراسات تتناول التخيير في عبادات أخرى.

وهكذا تظهر جدة وأصالة بحثي هذا والذي يناقش موضوعا آخر مختلفا بالكلية والله المعين على ذلك.

3-بحث مقدم من سعادة الدكتور عبد الغني حيدر فارع من كلية التربية قسم علوم القرآن،جامعة صنعاء بدولة اليمن، بعنوان (إشكاليات في القضاء والقدر وتفنيدها في ضوء القرآن والسنة)، ونشر في مجلة الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية العدد 24 عام 1435هـ.

وهدف البحث إلى ما يلي:

- بيان مفهوم القضاء والقدر وأحكامه وأهميته ومراتبه.

- تقديم تفصيل يتناول التعارض بين النصوص التي تنسب أفعال الإنسان للقدر والنصوص التي تنسب الفعل إلى الإنسان وتفسير ذلك.

- عرض المشاكل المتعلقة بالقدر كالجبر والإكراه والهداية والإضلال وتفنيدها.

واستخدم الباحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

وتكون البحث من ثلاثة مباحث تناولت ما سبق ذكره من مواضيع، وخلص البحث إلى عدد من النتائج تتلخص في توضيح المعنى الشرعي للقضاء والقدر، وبيان الفرق بين الإجبار وبين الإخبار بما تقدم به علم الله المحيط.

ويختلف بحثنا هذا بإضافة هامة هي تبيين آثار تبني الفهم الصحيح للتسيير والتخيير أو القدر وحرية العبد على حياة المسلم إيجابيا وكيفية الاستفادة من هذا التبيين في تربية النشء في المؤسسات التربوية بل وتوجيه البالغين والراشدين في مناحي الحياة المختلفة سواء الحياة الخاصة أي الأسرية أو العامة والعملية والمهنية.

تاسعاً:

خطة البحث التفصيلية:

يتكون هذا البحث من أربع فصول وخاتمة هي:

الفصل الأول:

الإطار النظري والمنهجي للبحث.

ويشمل المباحث التالية:

موضوع البحث وأهميته وأهدافه وتساؤلاته ومنهجيته وحدوده ومصطلحاته

والدراسات السابقة

الفصل الثـاني:

مفـهوم القضاء والقــدر.

ويشمل المباحث التالية:

- معنى القضاء والقدر
- حكم الإيمان بالقضاء والقدر
- معنى الخير والشر في القدر
- مراتب الإيمان بالقدر
- مذاهب الناس في الإيمان بالقدر والشرع
- القدرية والجبرية

الفصل الثالث:

مفهوم التسيير والتخيير في الإسلام

ويشمل المباحث التالية:

- معنى التسيير والتخيير وفق الكتاب والسنة

- الفرق بين المشيئة والإرادة
- أنواع الإرادة في القرآن الكريم والسنة
- مفهوم حرية الاختيار والإرادة الإنسانية وفق مصادر الشرع

الفصل الرابع:

حلول وآثار وفوائد

ويشمل المباحث التالية:

- صياغة حلول ونصائح لتبيين معنى المفهومين للأذهان
- شرح آثار وفوائد هذا التصحيح على جوانب عديدة من حياة المسلم فكريا وسلوكيا ونفسيا
- نتائج وتوصيات

الخاتمة.

فهرس البحث والمراجع

الفصل الثاني

مفـــهوم القضاء والقدر

أولا: معنى القضاء والقدر:

قال ابن فارس: القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه .وقال : "القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه".

ويتبين مما تقدم أن معنى القضاء في اللغة هو إحكام الشيء وإتمام الأمر، وهذا هو أصل معنى القضاء، وإليه ترجع جميع معاني القضاء الواردة في اللغة، وقد يأتي بمعنى القدر .وفي الاصطلاح "علم الله تعالى السابق الذي حكم به في الأزل ، وقيل الحكم الكليّ في الأزل"(الأشقر،عمر-2005-ص24).

وقد ورد لفظ القضاء ومشتقاته كثيراً في القرآن الكريم، وكل معانيه، التي قد تأتي متداخلة أحياناً، ترجع إلى الأصل السابق، فمن المعاني التي ورد بها:

-1معنى الأمر، ومنه قوله تعالى:وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ]الإسراء: 23 [، أي: أمر سبحانه وتعالى بعبادته وحده لا شريك له.

-2معنى الأداء والإنهاء، وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ]الحجر: 66 [، أي: تقدمنا إليه وأنهينا.

- 3معنى الحكم، ومنه قوله تعالى :فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ]طه: 72 [اصنع, واحكم, وافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك.

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

4- ومعنى الفراغ، ومنه قوله تعالى :فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ]فصلت: 12 [أي: فرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين, ومنه قوله تعالى :فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ]القصص: 29 [أي: فرغ من الأجل الأوفى والأتم.

5 -ومعنى الأداء، ومنه قوله تعالى :فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ]البقرة: 200 [أديتموها وفرغتم منها .

6 -ومعنى الإعلام، ومنه قوله تعالى: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا [الإسراء: 4] أي: تقدمنا وأخبرنا بني إسرائيل في الكتاب الذي أنزل إليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين.

-7 وبمعنى الموت، يقال: ضربه فقضى عليه، أي: قتله قال تعالى: فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ [القصص: 15] , أي قتله.

هذه هي أهم معاني (القضاء) في اللغة، وهناك اشتقاقات أخرى ذكرتها كتب اللغة ومن خلال عرض هذه المعاني يتبين ما بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي من رابط قوي، فتقدير الله للأمور، وكتابته لذلك، وكونها تجري بحكمة ودقة على حسب ما أرادها سبحانه وقضاها، كل هذه المعاني يوحي بها المعنى اللغوي.

والقدر، بتحريك الدال وإسكانها، الطاقة ومن ذلك قوله تعالى: (عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ)[البقرة:236] بفتح الدال، وقرئ بإسكانها.

ويأتي القدر بمعنى التضييق، ومنه قوله تعالى: وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ [الفجر:16] وعليه فسر قوله –تعالى– عن يونس– عليه السلام–: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ الأنبياء : 87[أي: لن نضيق عليه.]

وقدرت الشيء أقدره من التقدير، ومنه الحديث: ((فإن غم عليكم فاقدروا له)) أي: قدروا له عدد الشهر حتى تكملوه ثلاثين يوماً، وقيل: قدروا له منازل القمر، فإنه يدلكم على أن الشهر تسع وعشرون أو ثلاثون.

وقدر كل شيء ومقداره: مقياسه، يقال قدره به قدراً إذا قاسه، والقدر من الرحال والسروج: والوسط، وقدرت الشيء قدارة، أي: هيأت ووقت.

والقدرة: اليسار والغنى والقوة ،هذه هي أهم المعاني لـ(القدر) في اللغة. وهناك معان أخرى جانبية تعرضت لها كتب اللغة. أما المعنى الاصطلاحي للقدر فهو "وقوع ماعلمه الله تعالى وجرى به القلم إلى الأبد، ووقوعه حسب ما قدره الله تعالى في الوقت والمكان المحددين"(الأشقر، ص21 بتصرف).

وعرفه ابن حجر "علم الله تعالى بمقادير الأشياء وتفاصيلها" (المرجع السابق– ص21).

والسؤال المهم الذي يطرح ذاته هنا هو:

ما الفرق بين القضاء والقدر؟

تعددت أقوال العلماء واتجاهاتهم حول التفريق في المدلول بين القضاء والقدر، فبعضهم اعتبر المفهومين يشيران إلى ذات المعنى والبعض كما سبق التعريف فرق بينهما .

فمنهم من قال: إن القدر" :تقدير الله في الأزل"، والقضاء: "حكم الله بالشيء عند وقوعه"، فإذا قدر الله تعالى أن يكون الشيء المعين في وقته فهذا قدر، فإذا جاء الوقت الذي يكون فيه هذا الشيء فإنه يكون قضاء، وهذا كثير في القرآن الكريم مثل قوله تعالى} :قضي الأمر{، وقوله} :والله يقضي بالحق {وما

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

أشبه ذلك، فالقدر تقدير الله تعالى الشيء في الأزل، والقضاء قضاؤه به عند وقوعه.(فتاوى ابن عثيمين، المجلد الثاني، باب القضاء والقدر).

وذكر أحدهم بأن الراجح أنهما إن قرنا جميعاً فبينهما فرق كما سبق، وإن أفرد أحدهما عن الآخر فهما بمعنى واحد.

وبعضهم جعلوا القدر سابقا على القضاء ، فالقدر هو الحكم السابق الأزلي ، والقضاء هو الخلق.

قال الراغب الأصفهاني في "المفردات" (ص675):

"والقضاء من الله تعالى أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع. "

وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المُعَدِّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل ، ويشهد لذلك قوله تعالى: (وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) ، وقوله: (كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مقضيا) .

وسئل الشيخ عبد العزيز آل الشيخ : ما الفرق بين القضاء والقدر؟

فأجاب : " القضاء والقدر؛ من العلماء من يسوي بينهما، ويقول القضاء هو القدر، والقدر هو القضاء، ومنهم من يأتي بفرق ويقول: القدر أعم ، والقضاء أخص، فالقدر عمومًا والقضاء جزءٌ من القدر.

والكل واجب الإيمان به، بأن ما قدّر الله، وقضى الله لابد من الإيمان به والتصديق به ."

وفي رأي الباحثة ليس وراء الاختلاف في هذه المسألة كبير فائدة ، ولا تتعلق بعمل ولا اعتقاد ، وغاية ما فيها اختلاف في التعريف ، ولا دليل من الكتاب والسنة يفصل فيها ، والمهم هو الإيمان بهذا الركن العظيم من أركان الإيمان ، والتصديق به.

قال الخطابي رحمه الله في "معالم السنن" (323/2) بعد أن ذكر أن القدر هو التقدير السابق وأن القضاء هو الخلق ، قال : "جماع القول في هذا الباب – أي القضاء والقدر – أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر ؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس ، والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه".

ثانيا: ماحكم الإيمان بالقضاء والقدر؟

اتفقت الأديان السماوية واشتركت في معالم التوحيد الأساسية والدعوة إلى الله الواحد الأحد، وأصول الاعتقاد وأركان الإيمان الستة وأسس العبادات مثل الصلاة والصيام والزكاة.

يقول تعالى في سورة البقرة (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ [البقرة:177]. وقوله تعالى:إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ [القمر:49]. ففي الآية الأولى ذكر الله تعالى خمسة أركان وهي: 1- الإيمان بالله. 2- الإيمان باليوم الآخر.3- الإيمان بالملائكة.4- الإيمان بالكتاب.5- الإيمان بالنبيين.وفي الآية الثانية ذكر الله تعالى الركن السادس، وهو الإيمان بالقدر.

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ففي (صحيح مسلم) من حديث عمر بن الخطاب في سؤال جبريل عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال)) :أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال (أي

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

جبريل عليه السلام): صدقت . ((والنصوص المخبرة عن قدرة الله أو الآمرة بالإيمان بالقدر كثيرة، فمن ذلك قوله تعالى :إِنا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]القمر:49 .[وقوله :وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا]الأحزاب: 38[، وقوله :وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً]الأنفال:42 .[وقال:الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا]الفرقان:2 .[وقال :سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى]الأعلى: 1–3 .[وروى مسلم في (صحيحه) عن طاووس قال)) :أدركت ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: كل شيء بقدر حتى العجزُ والكَيْس، أو الكَيْس والعَجْز . ((وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال)) :جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر، فنزلت :يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]القمر: 48: 49([

وقد سئل الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – عن القدر: فقال: (القدر قدرة الله). قال ابن القيم: (وقال الإمام أحمد: القدرُ قدرة الله، فإن إنكاره إنكار لقدرة الرب على خلق أفعال العباد وكتابتها وتقديرها) وقد صاغ ابن القيم لهذا المعنى شعراً فقال:

واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد لما حكاه عن الرضا الربان

فحقيقة القدر الذي حار الورى في شأنه هو قدرة الرحمـن

ولذا فإن الذين يكذبون بالقدر لا يثبتون قدرة الله تعالى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (مَنْ لم يقل بقول السلف فإنه لا يُثبِت لله قدرة، ولا يثبته قادراً كالجهمية ومن اتبعهم، والمعتزلة المجبرة والنافية: حقيقة قولهم أنه ليس قادراً، وليس له الملك، فإن المُلك إما أن يكون هو القدرة، أو المقدور، أو كلاهما، وعلى كل تقدير فلا بدَّ من القدرة، فمن لم يثبت له قدرة حقيقية لم يثبت له ملكاً) . والذين كذبوا بالقدر لم يوحدوا الله عز وجل.

وللباحثة رأي في هذا الشأن يتلخص في أن إثبات قدرة الله وكتابته للمقادير إنما هو التسليم الكامل بتوحيد الله وعبادته حق عبادته، وعليه فمن ينكر القضاء والقدر فإنما ينكر ملك الله بالكلية نعوذ بالله من ذلك.

– معنى الخير والشر في القدر :معنى قول السلف من أصول الإيمان: الإيمان بالقدر خيره وشره.

أن القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته وذلك خير محض وكمال من كل وجه فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدر ويكون شرا بالنسبة إلى محل وخيرا بالنسبة إلى محل آخر وقد يكون خيرا بالنسبة إلى المحل القائم به من أوجه كما هو شر له من وجه بل هذا هو الغالب..

وهذا كالقصاص وإقامة الحدود فالبعض يعتبرها قسوة ولكنها عدل وإنصاف.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سيكون في أمتي أقوامٌ يكفرون بالله وبالقرءان وهم لا يشعرون فقلت يا رسول الله كيف يقولون قال يُقِرّون ببعض القدر ويكفرونَ ببعض يقولون إن الخير من الله والشرَّ من الشيطان » رواه الإمام أحمد بن الحسين أبي بكر البيهقي رحمه الله بإسناده إلى رافع بن خَدِيج صاحبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الإيمان بالقدر خيره وشره معناه الإيمان بأن كل ما دخل في الوجود من خير و شر هو بتقدير الله الأزلي ، فالخير من أعمال العباد بتقدير الله و محبته ورضاه، والشر من أعمال العباد بتقدير الله و خلقه و عِلْمِه ولكن ليس بمحبته ولا برضاه. الله خالق الخير والشرّ لكنه يرضى الخير ولا يرضى الشرّ. الله تعالى خالق أفعال العباد ونيّاتهم ومشيئتهم شرّها وخيرها.

والباحثة ترى هنا بأن ما يحدث للعباد من شر قد يدخل في لواء الابتلاءات والاختبارات فهي حتى وإن كانت شرا فهي تصنف كنوع من التمحيص والتطهير من الذنوب وكسب رضى الله تعالى .

ثالثا: – مراتب الإيمان بالقدر:

مراتب الإيمان بالقدر تشمل أربعة مراتب هي :١ مرتبة العلم ٢ مرتبة الكتابة ٣ مرتبة المشيئة ٤ مرتبة الخلق.
مرتبة العلم مرتبة العلم هي أولى مراتب القدر، وهي الإيمان الجازم بأنَّ الله –سبحانه وتعالى– عالم بكل شيء بعلمه القديم، وعلمه ليس كعلم المخلوقات، فهو علم عام وشامل لكل شيء ومن جميع النواحي والأحوال، فالله –عزَّ وجلَّ– عالمٌ بكل الأمور بتفاصيلها الدقيقة والتي لا يعلمها أحد غيره، وإن أدرك الإنسان هذه المرتبة وآمن بها فلن يضل أبدًا.
الكتابة هي المرتبة الثانية من مراتب القدر، فالله –عزَّ وجلَّ– قد كتب المقادير كلها في اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ هو من أعظم ما خلق الله –سبحانه وتعالى–، وقد كتب فيه كل ما يتعلق بالمخلوقات جميعها من أعمال، سواءً الإنسان أو الجن أو الحيوان وسائر المخلوقات.
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: 22].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: 38].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ [الإسراء: 58].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: 70].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: 59].
وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ]"(أخرجه مسلم،1653)
وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ]"(أخرجه البخاري 6982).
وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ" يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي".(أبو داوود،4700).

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ثَالِثًا: الْإِيمَانُ بِأَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى:

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: 26].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور: 45].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص: 68، 69].

رَابِعًا: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ:

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: 62]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: 96]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة: 4].

وفي الحقيقة أن الإيمان بمراتب القدر وفق رأي الباحثة إنما يظهر الهدف من هذا البحث من حيث أهمية التسليم بقدرة الله وهذا ما يشمل التسيير والاتجاه الآخر الذي يقرر قدرة الإنسان على الاختيار وآثار ذلك الوعي على مناحي مختلفة من حياة المسلم، وهذا ما ستوضحه الباحثة في مبحث لاحق من هذه الدراسة.

– مذاهب الناس في الإيمان بالقدر:

أشهر المذاهب في باب القضاء والقدر ثلاثة:

المذهب الأول: مذهب الجهمية الجبريّة.

وخلاصة قولهم أن العباد مجبورون على أعمالهم، لا قدرةَ لهم ولا إرادة ولا اختيار، والله وحده هو خالق أفعال العباد، وأعمالهم إنما تنسب إليهم مجازاً".

يقول البغدادي عن الجهم: "وقال: لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، كما يقال: زالت الشمس ودارت الرحى، من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به".

فالإنسان عند الجهم يختلف عن الجمادات، لأن الله خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، كما خلق له إرادة للفعل، واختياراً منفرداً له، لكن هذه الإرادة كاللون والطول ونحوهما مما لا إرادة للإنسان فيه ولا قدرة.

المذهب الثاني: مذهب المعتزلة القدرية.

وخلاصة قولهم أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها.

فهم ينكرون الدرجة الثانية من درجات القدر، والتي تشمل مرتبتي الإرادة والخلق، فينفونها عن الله تعالى، ويثبتونها للإنسان.

يقول عبد الجبار الهمذاني: "اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله جل وعزّ أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم، وأن من قال: إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه".

ويقول القاسم بن إبراهيم الرسي راداً على من قال: إن الله هو الخالق لأفعال العباد: "ولو كان هو الفاعل لأعمالهم الخالق لها لم يخاطبهم ولم يعظهم، ولم يلمهم على ما كان منهم من تقصير، ولم يمدحهم على ما كان منهم من جميل وحسن".

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

المذهب الثالث: مذهب السلف.

يلخّصه شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: "مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو أن الله خالق كل شيء ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد.

وأنه سبحان ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو القادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادرٌ عليه.

وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم؛ قدّر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاء.

فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون.

رابعا: القدرية والجبرية :-

تعريف القدريَّة:

القدريَّة: هم الذين ينفُون قدر الله تعالى، ويقولون: إن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد، ويجعلون العبد خالقَ فِعل نفسه، ويقولون: إن الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه؛ (موسوعة الفرق والمذاهب – وزارة الأوقاف المصرية – صـ 521).

نبيُّنا صلى الله عليه وسلم يحذرنا من القدريَّة:

روى أبو داود عن عبدالله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((القدريَّة مجوس هذه الأمة، إن مرِضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم))؛ (حديث حسن) (صحيح أبي داود للألباني حديث: 3925).

نشأة الجَبريَّة:

الجَبريَّة: هم أتباع الجهم بن صفوان، الذي قتله سلم بن أحوز أمير خراسان سنة 128هـ؛ (شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي جـ 2 صـ: 349).

سبب التسمية:

سُمِّي الجَبريَّة بذلك لأنهم يقولون: إن العبد مُجبَر على أفعاله، ولا اختيار له، وأن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى، وأن الله سبحانه أجبر العباد على الإيمان أو الكفر؛ (الملل والنحل للشهرستاني جـ 1 صـ 87).

معنى الجبر:

الجبر: هو إجبار الناس وإرغامهم على فعل شيءٍ من غير إرادةٍ أو مشيئة لهم، ويرى الجَبريَّة أن الناس لا اختيار لهم في أفعالهم، ولا قدرة لهم على أن يغيِّروا مما هم فيه شيئًا، وإنما الأفعال لله سبحانه؛ فهو الذي يفعل بهم ما يفعلونه، وجعلوا هذا مطلقًا في جميع أفعالهم، فإذا آمن العبد أو كفر فإن الإيمان أو الكفر الذي وقع منه، والطاعة أو المعصية، ليست فِعلَه إلا على سبيل المجاز، وإنما الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه؛ لأن العبد لا يستطيع أن يغير شيئًا من ذلك؛ (مقالات الإسلاميين – لأبي الحسن الأشعري جـ 1 صـ 338).

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ويقول الجَبريَّة أيضًا: إن العبد مسيَّر، لا خيار له أبدًا؛ فهو كالريشة في مهَبِّ الريح، وعلى هذا فإنه يكفيه في مسألة الحساب والجزاء أن يؤمن بالله تعالى بقلبه فقط، مهما فعل من الكفر والمعاصي حتى الشرك، تعالى الله عما يقولون! وهذه المفاهيم المنحرفة هي التي أدت إلى ظهور الانحراف في إدراك الفرق بين التسيير والتخيير واختلاط الحدود مما أدى لشوائب عدة في التفريق بينهما وكيفية التعاطي معهما.

الفصل الثالث

مفهوم التسيير والتخيير في الإسلام

- أولا: الفرق بين المشيئة والإرادة:-

قد يتساءل البعض عن الفرق بين المشيئة والإرادة، فإن كلًّا من الإرادة الكونية والمشيئة تطلق على الأخرى؛ جاء في التحرير والتنوير لابن عاشور: "فَالْإِرَادَةُ وَالْمَشِيئَةُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ". وكلام أهل التفسير عن الآيتين المذكورتين يدل على ذلك؛ فقول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ {الحج:14} في سورة الحج جاء تعقيبًا على قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ {الحج:14}. قال أهل التفسير: يفعل ما يريد بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة، وبأهل معصيته من الهوان؛ لأنه سبحانه لا يُعْجِزه شيء، ولا يعالج أفعاله كما يعالج البشر أفعالهم، فما أراده فعله من غير ممانع ولا معارض. قال ابن كثير: "أَيْ: يُثِيبُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، فَلِلْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةُ بِحُكْمِ وَعْدِهِ الصِّدْقِ وَبِفَضْلِهِ، وَلِلْكَافِرِينَ النَّارُ بِمَا سَبَقَ مِنْ عَدْلِهِ، لَا أَنَّ فعل الرب معلل بفعل العبيد."

ونفس المعنى جاء في تفسير الآية الأخرى: إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ من نفس السورة، فقد جاء تعقيبًا على قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. يقول الطبري: إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من أراد إهانته، وإكرام من أراد كرامته، لأن الخلق خلقه والأمر أمره، (لا يسئل عما يفعل وهم يسألون).

وعلى ذلك؛ فلا فرق بين الإرادة الكونية والمشيئة في الآيتين، وإن كان هناك فرق بين الإرادة والمشيئة في أصل اللغة؛ جاء في معجم الفروق اللغوية للعسكري: "الفرق بين الإرادة والمشيئة: أن الإرادة تكون لما يتراخى وقته ولما لا يتراخى، والمشيئة لما لم يتراخ وقته". وانظر الفتوى رقم.131050 :

كما أن هناك فرقًا بين الإرادة الشرعية الدينية وبين المشيئة؛ فالإرادة الشرعية لا تكون إلا فيما يحبه الله، وأما الإرادة الكونية أو المشيئة فإنها تكون في المحبوب وغيره، فكل ما في العالم من خير وشر فقد شاءه الله وأراد إرادة كونية.

وأما السر في استعمال العبارتين في ختام الآيتين الكريمتين: فلا شك أن له حكمة أو حكمًا عظيمة علمها من علمها وجهلها من جهلها، لكننا لم نقف عليه في كلام أهل العلم، ولعل منه –والله أعلم– أنه للإطناب وتنويع العبارة –وهو أسلوب من أساليب البلاغة– لتأكيد إرادته ومشيئته سبحانه وتعالى .

ومن حيث اللغة ومعانيها ، ففي كتب اللغة كالمصباح المنير وغيره ترد كلمة المشيئة بمعنى الإرادة، وترد الإرادة بمعنى المشيئة، ولكن عندما تتتبع استخدامات اللفظين، تجد أن المشيئة فيها معنى الإيجاد، والإرادة طلب الشيء، والإرادة أعم من المشيئة . (انظر

تاج العروس للزبيدي، والكليات للكفوي) وتجد أيضاً أن صفتي المشيئة والإرادة مشتركتان بين الله جل جلاله وبين العبد، إلا أن مشيئة العبد لا تتحقق إلا إذا شاء الله تعالى.

–والمشيئة يفهم منها أن الإنسان مسير فيها، بخلاف الإرادة التي تحمل معنى الرضا والاختيار، لذلك فإن النية وهي القصد مع اقترانه بالفعل، تعد من الإرادة.

–ونقرأ في منهاج السنة لابن تيمية، وفي شفاء العليل لابن القيم رحمهما الله تعالى تعليلات جميلة حول الفرق بين المشيئة والإرادة، إذ هما يقسمان الإرادة إلى كونية وشرعية، فالإرادة الكونية تكون مرادفة للمشيئة، لذلك فإن كفر الكافر لا يقع إلا بمشيئة الله عز وجل أي بإرادته، لكن مع ذلك فإن كفره غير محبوب إلى الله تعالى.

وإلى مثل هذا المفهوم أشارت الآية الكريمة التي تقول: (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) (البقرة،253).

–أما الإرادة الشرعية فتكون بمعنى المحبة، لذلك فإن الله تعالى أراد إسلام أبي بكر رضي الله تعالى عنه قدراً وشرعاً، لكنه لم يرد إسلام أبي لهب ديناً وشرعاً، ولم يرد هنا بمعنى لم يحب.

–ومن هنا فإن تقسيم الإرادة إلى كونية قدرية، وشرعية دينية، تقسيم معقول، وأما المشيئة فكونية قدرية فقط، بمعنى أنها مرتبطة بالله تعالى وحده، والعبد مسيّر فيها (مجلة الخليج، /12 /2012/1, ملحق الدين للحياة).

وتستنتج الباحثة هنا مقدمات قد تفيد في تحديد الاتجاه في شرح التسيير والتخيير والفرق بينهما كما يلي:

1–أن هناك مشيئة مطلقة لله تعالى تتحكم في الإنسان والكون وما خلق الله من بعد ومن قبل سبحانه وتعالى.

2– إرادة الله قد تكون عن محبة فتسمى حينها إرادة شرعية، وقد تكون بدون محبة منه وحينها تسمى إرادة كونية، أما مشيئته تعالى فهي كونية قدرية والإرادة الكونية هي مشيئته تعالى.

3–الإرادة أعم من المشيئة.

4–مشيئة العبد لا تتحقق إلا بمشيئة الله تعالى.

ثانيا: معنى التسيير والتخيير وفق الكتاب والسنة :–

معنى التسيير لغة: مشتق من الفعل "سيَّر"، ويعني تدبير الإنسان لأموره (معجم المعاني الجامع،ص212).

ولم تجد الباحثة تعاريف كثيرة قاطعة لمصطلح التسيير إلا اجتهادات شخصية عند بعض الباحثين، فقد عرفه أحدهم :" تسيير الله تعالى لشؤون البشر ووضع مقاديرهم من قبل الأزل (الفتياني، الجمعية الأردنية لإعجاز القرآن والسنة: محاضرة).

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ويتضح هنا التداخل بين معنى التسيير والقضاء والقدر وهذا ما حملني على إيراد فصل كامل في هذه الدراسة حول مفهوم القضاء والقدر.

أما التخيير فمعناه لغة مصدر من الفعل خيّر وتخيير الشخص تعني جعل حرية الاختيار بين الأمور له (معجم المعاني الجامع ،ج4:ص166).

التَّخْيِيرُ: إِسْنادُ الاِخْتِيارِ وتَفْوِيضُهُ إلى الغَيْرِ، يُقال: خَيَّرَهُ في الأَمْرِ، يُخَيِّرُهُ، تَخْيِيراً، فهو مُخَيِّرٌ، أيْ: أَسْنَدَ إليه الاِخْتِيارَ، وخَيَّرْتُهُ بين الشَّيْئَيْنِ: إذا فَوَّضْتُ إليه اخْتِيارَ أَحَدِهِما. والاِخْتِيارُ: الاِنْتِقاءُ والاِصْطِفاءُ. والخِيارُ: طَلَبُ خَيْرِ الأُمورِ. وأَصْلُه: المَيْلُ إلى الشَّيْءِ. ويأْتي التَّخْيِيرُ بِمعنى التَّفْضِيلِ، يُقال: خَيَّرَ بين الأَوْلادِ، أيْ: فَضَّلَ بَعْضَهُم على بَعْضٍ.

واصطلاحا:"

التَّخْيِيرُ: "هو تَفْوِيضُ الأَمْرِ إلى اخْتِيارِ المُكَلَّفِ في الانْتِقاءِ بين أُمورٍ مُعَيَّنَةٍ شَرْعاً، ويُوَكَّلُ إليه تَعيينُ أَحَدِها بِشُرُوطٍ مَعْلومَةٍ، كتَخْيِيرِهِ بين خِصالِ الكَفَّارَةِ، وبين القِصاصِ والعَفْوِ، وتَخْيِيرِهِ في فِدْيَةِ الحَجِّ، ونحو ذلك"(معلمة مفردات المحتوى الإسلامي :ص234).

وأمّا هل الإنسان مخيّر أم مسيّر؟ فهذا اللفظ لم يرد في الكتاب ولا في السنة، بل الذي دلاَّعليه: أنّ الإنسان له مشيئة ويتصرف بها، وله قدرة على أفعاله، ولكن مشيئته محكومة بمشيئة الله، كما قال تعالى : لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيم ،وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)التكوير:28– 29(

فليست مشيئته مستقلة عن مشيئة الله، ولفظ : "مخير ومسير" لا يصح إطلاقهما، فلا يقال :الإنسان مسير، ولا يقال: إنه مخيّر، بل لابدّ من التفصيل، فإن أُريد أنه "مسيّر" بمعنى أنه مجبور ولا مشيئة له ولا اختيار: فهذا باطل، وإن أُريد أنّه "مسيّر" بمعنى أنه ميسر لِما خلق له، وأنه يفعل ما يفعل بمشيئة الله وتقديره: فهذا حق.

وكذلك إذا قيل "إنه مخير" وأريد أنه يتصرف بمحض مشيئته دون مشيئة الله: فهذا باطل، وإن أُريد "أنه مخير" بمعنى أن له مشيئة واختيارًا وليس بمجبر: فهذا حق "ابن القيم، القضاء والقدر والحكمة والتعليل،ص116" .

يُقصد (بالتَّخيير والتَّسيير) ما يتعلَّق بعموم أفعال الإنسان وسلوكه في حياته "خيرِها وشرّها، هيّنها وعظيمِها"، هل يفعلها بإيعازٍ ذاتيّ منه يشعرُ فيها بإرادته التامّة؟، أم هو فيه مُجبر؟. فالتخيير –مثلًا–، يُقصد به: الأفعال المحكومة بالإرادة الحرَّة، كأكل الإنسانِ وشربه وبيعه وشرائه، وما شابه ذلك، ممَّا الأصل فيه أن الإنسان يختارُ مسبقًا هل يُريد أن يفعله أم لا؟، ولا تكون النتيجة حينئذٍ بالرفضِ أوِ القَبول إلَّا مبنيةً على إرادةٍ منه، يعلمُ حقيقتَها وحقيقة إدراكِه لها، وأما التَّسيير: فهو على النَّقيضِ من ذلك ممَّا خرج عن قصدهِ وإرادته من الأفعالِ والأقوال، كولادةِ الإنسان وموته، وما شابه ذلك. يقول ابنُ القيّم –رحمه الله–: (فإنَّ الله فطر عبادَه على التفريقِ بين حركة مَن رُمي به مِن شاهق، فهو يتحرك إلى أسفلَ، وبين حركةِ من يرقى الجبلَ إلى عُلُوِّه، وبين حركة المرتعِش وبين حركة المُصَفِّق، وبين حركة الزاني والسارقِ والمجاهد والمصلي، وحركة المكتوف الذي أُوثِقَ رِباطًا وجُرَّ على الأرض، فمن سوَّى بين الحركتين فقد خَلع رِبقة العقلِ والفطرة والشِّرعة من عنقه)(نفس المرجع السابق –ص223) . هل يُنفى التخيير والتسيير مُطلقًا؟ حتى نُحسن فَهم المسألة، ينبغي أن نعيَ الأصل الذي خُلِق عليه الإنسان، وهو حاكميَّة الإلٰهِ عليه، وعدم خروجِهِ عن سُلطانه، فإن أقرَّ هذا الإلهُ للإنسان إرادةً يستشعرها الأخيرُ في نفسه واختياراته فإنَّهُ يقرُّها بحدودها، دونَ أن تخرجَ هذه الإرادة عن مشيئة هذا الخالق وإرادته. إذا فَقِه الإنسانَ ذلك، أدركَ حينئذٍ أنّه لا يُشترط (عدمُ التلازم) بين التخييرِ والتسيير في حياته، بمعنى: أنه لا يُنفى التسييرُ بإطلاق، ولا التخيير بإطلاق، بل هناك

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

جوانبُ تجمع بينهما، ستتَّضح حين يُدرك حقيقةَ علمِ الله بأقدار الخلق وكتابته –عز شأنه– لذلك، لماذا؟ لأن الإنسان الفَطِن سيعلم – بداهةً وضرورةً– استحالةَ أن يكون الإنسان مُخيَّرًا بإطلاق، بحيث لا تتدخل الإرادة الإلهيَّة في شؤونه مُطلقًا؛ لعلمهِ أن ذلك خارمٌ لسُلطان الإله –عزَّ شأنه– ولحكمته في تدبير خلقه: {وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ} [البقرة–251).

وتستنتج الباحثة استنتاجا رئيسيا يشتمل على مبدئين:

أولهما يقرر كون الإنسان مخلوق وفق مقادير الله تعالى، يعيش حياته كلها بمشيئة الخالق ضمن أطر مقننة يضعها الله تعالى للعبد وتسير حياته ومماته ومصيره وكل ما يتصل به وبالكون والحياة.

ثانيهما يشير إلى مساحة من الحرية المحدودة منحها المولى لعباده ليستخدم عقله ووجدانه في عملية اختيار تجعل له إرادة ولكنها إرادة مرهونة أيضا بإرادة الواهب ولا تخرج عن سيطرته، وهذه الإرادة هي التي يحاسب العبد على نتاج خياراتها بما يسمى المسؤولية، يقول تعالى:(وقفوهم إنهم مسئولون)"الصافات–24" ، وقوله تعالى:(أيحسب الإنسان أن يترك سدى)"القيامة–36".رابعا: مفهوم حرية الاختيار والإرادة الإنسانية وفق مصادر الشرع :–

بعد كل ما تم عرضه حول القضاء والقدر ومفهوم التسيير والتخيير تتضح نقاط مهمة تتلخص فيما يلي:

أولا:

قال تعالى : {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ }(القصص: من الآية68).

فهو –سبحانه وتعالى– يختار من خلقه ما يشاء ومن يشاء لما يريد من الوظائف والأعمال، والتكاليف والمقامات، ولا يملك أحد أن يقترح عليه شخصاً، ولا حادثاً ولا قولاً ولا فعلا،{ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ } ، لا في شأن أنفسهم ولا في شأن غيرهم، الاختيار هو الانتقاء والاصطفاء، هو سنة من سنن الله تعالى في خلقه، خلق السماوات فجعلهن سبعاً، واختار السابعة لأن تكون مكاناً للملأ الأعلى، وخلق الشهور فجعلها اثني عشرَ شهراً، واختار من بينها رمضان ليكون أفضل الشهور، وخلق الأيام فجعلها سبعة، واختار منها الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وعرفة أفضل أيام العام ، وخلق الليالي، واختار منها ليلة القدر فجعلها أفضل الليالي .

واختار من الأمكنة: البيت الحرام، فجعله أفضل البقاع.

وخلق الكائنات، واختار منها الإنسان ليكون أفضلها وأعلاها : {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}(الاسراء: من الآية70).

واختار آدم أبًا للبشرية, فخلقه بيده وأحسن صورته, وعلَّمه الأسماء كلَّها, وأسجد له ملائكته, وأسكنه الجنة.

وبعث من رسله ملائكةً وبشراً {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ}(الحج: من الآية75).

واختار من بينهم خمسة؛ وهم أولو العزم من الرسل فجعلهم أفضل أنبيائه. {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} (آل عمران:33).

واختار الرسول صلى الله عليه وسلم من العرب, من أشرف قبيلة، فهو خيار من خيارِ من خيار: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ, وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ, وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ, وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ))، رواه مسلم .

هذا الاختيار سنة من الله تعالى في عباده الصالحين، وفي كل جيل يختار ربنا أفضل الأمم لتقود البشرية في وقتها، كما فضلّ بني إسرائيل في وقتهم، وقال: {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} (الدخان:32)

وكذلك فإنه –سبحانه وتعالى– اختار الإسلام ديناً لجميع الناس .

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

واختار المدينة دار هجرةٍ لنبيه –عليه الصلاة والسلام–.

واختار هؤلاء الأصحاب خير حواريين في الناس أو في البشر، ليكون أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– وقال: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}(آل عمران: من الآية110).

واختار من جملة الصحابة: العشرة المبشرين. واختار منهم الشيخين : أبا بكر وعمر، وزيرين لنبيه –عليه الصلاة والسلام–.

واختار لأنبيائه مهنة رعي الغنم دون غيرها من بهيمة الأنعام، ((مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ)) البخاري.

واختار المسجد الحرام ليكون قبلةً لهذه الأمة : {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ }(البقرة: من الآية144).

قال ابن القيم رحمه الله : إن الله سبحانه وتعالى اختار من كلِّ جنسٍ من أجناس المخلوقات أطيبَه، واختصَّه لنفسه، وارتضاه دون غيره، فإنه تعالى طيبٌ لا يحبُّ إلا كل طيب، ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب، فالطيبُ من كل شيء هو مختَاره تعالى.(زاد المعاد – (65/1).

ثانيا: كما كان الاختيار سنة الله في الكون جعل للناس ذات الإمكانية في اختيار كثير من الأمور في حياتهم، وعلى الإنسان في معركته ضد ابليس وضد هوى نفسه الأمارة بالسوء أن يختار طريق الخير ويبتعد عن طريق الشر والله تعالى فتح له النجدين وهو يختار إما أن يكون شاكرا أو يكون كفورا، وطوال حياة الإنسان وهو يتعرض لاختبارات متتالية تحكم اختياراته ولا تنتهي هذه السلسلة إلا بموته، حتى توبته عن الذنب اختيار وإرادة ولهذا يؤجر عليها.

بحسن الاختيار تتجنب المشكلات، سواء كانت أسرية اجتماعية وظيفية مالية .

قال الحسن البصري عن أثر حسن اختيار الزوجة في مسلك الإنسان حتى في سياسته في البيع والشراء لو كان بائعاً : وقفت على بزَّاز بمكة أشتري منه ثوباً – بائع قماش –، فجعل يمدح ويحلف، فتركته، وقلت لا ينبغي الشراء من مثله، واشتريت من غيره.

ثم حججت بعد ذلك بسنتين، فوقفت عليه فلم أسمعه يمدح ولا يحلف، فقلت له: ألست الرجل الذي وقفت عليه منذ سنوات؟

قال: نعم.

قلت له: وأي شيء أخرجك إلى ما أرى، ما أراك تمدح ولا تحلف؟

فقال: كانت لي امرأة إن جئتها بقليل نزَرَته [احتقرَته واستَقَلَّته]، وإن جئتها بكثير قللته، فنظر الله إلي فأماتها.

فتزوجت امرأة بعدها، فإذا أردت الغدو إلى السوق أخذت بمجامع ثيابي ثم قالت: يا فلان اتق الله ولا تطعمنا إلا طيبًا؛ إن جئتنا بقليل كثرناه، وإن لم تأتنا بشيء أعناك بمغزلنا.

الاختيار نتائجه طيبة، إذا كان حسناً، فإذا وفق الإنسان في اختيار الإدارة والموظفين والعمال والنظام، إذا اختار الإنسان مكاناً مناسباً؛ مسكناً بجانب مسجد، معلماً لأولاده جيداً، محفظاً مؤدباً مدرساً، يختار المدرسة والفصل إذا أمكن، بل ويختار من سيجلس بجانب ولده .

ثالثا:

إذا لم يكن الاختيار حسناً، سيورث التحسر وخيبة الأمل وتأنيب النفس، ويقع الإنسان في اللوم ويستولي عليه القلق وتشويش التفكير، ومن ضوابط الاختيار وقواعده أن تكون تقوى الله هي المعيار الأول لاختيار أي أمر، كما تشرع الاستخارة واللجوء إلى الله لطلب العون في الخيرة، ومن ثم يطلب العبد المشورة ممن يثق فيهم من البشر ويستخدم في آخر المطاف عقله الرشيد بعيدا عن الهوى والشهوات والترهات.

ومن أهم قواعد الاختيار أنه لا مجال لجعل الحرام من الاختيارات، فيتخير الإنسان بين المباحات، يتخير في المستحبات، لكن لا يمكن

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

أن يختار بين الصدق والكذب،ولا يكون الكذب عنده خياراً ممكناً، وقد قال كعب : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ.. رواه مسلم (2769) .

رابعا: هناك أشياء لا اختيار لنا فيها، مثل الصفات التي نُخلق عليها،قال تعالى {هو يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ}(آل عمران: من الآية6) ، ولذلك علمنا الأدب {ولا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ}(النساء: من الآية32). وحتى الأنثى ما تتمنى أن تكون رجلا، يا ليتني رجلاً لأفعل وأفعل، تستلم لأمر الله، في الصدر الأول ربما حصل عند بعض النساء تمني أن كانت رجلاً لتجاهد وتقوم بهذه المهام، المهام الكبيرة، وأما في عصرنا انظر الدناءة إذا نزلت إلى مستوى، يقول : يا ليتني امرأةً حتى أكون جميلاً،{وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ } (32) سورة النساء، عدم القناعة بما قسم الله من الرزق وفي الشكل وحتى الذكورة والأنوثة، فإذاً في الأشياء التي لا اختيار لنا مهما جاء الاختيار فليس لنا إلا الاستسلام والتسليم والقناعة والرضا، مثل الصفات التي خلقنا الله عليها.

ثانياً: أقدار الله التي تنزل من الحوادث والجوائح والمصائب،{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}(التغابن: من الآية11) .

ثالثاً:الرزق إذا ضُيق عليه، الأجل :هذه عند الله، {لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ}(الأعراف: من الآية34).

ثم أيضاً أحكام الشريعة، مالنا فيها خيار، نرفض أو نوافق، {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}(الأحزاب: من الآية36). ما لنا إلا التسليم، {وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}(النساء: من الآية65).

الفصل الرابع:

حـــــلول وآثـــــار وفـــــوائد

المبحث الأول:

صياغة حلول ونصائح لتبيين معنى المفهومين للأذهان:-

وبعد ، فإن التسيير والتخيير مرتبطان بمفهوم راسخ يتعلق بالركن السادس من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالقضاء والقدر مع مفاهيم أخرى تتعلق بالفرق بين المشيئة والإرادة، وعليه يمكن صياغة بعض النصائح التي يمكن توجيهها لأهل العقول النيرة كما يلي:-

1-لاتعارض بين المفهومين، فوجود أحدهما لاينفي الآخر بل يثبته، فوجود القدر والمشيئة الربانية لايلغي قدرة الإنسان وإرادته في بعض الشؤون.

2-الإرادة الإنسانية تكليف لاتشريف يستدعي الأخذ بالأسباب وإقرانه مع التوكل بالله بصورة معتدلة ومتوازنة.

3- معايير التصديق بالقدر وحتميته تتعلق بخصائص الإرادة الإلهية، مما يشعر الإنسان بدرجات الأمن الكاملة والتي تقوده لمسلمة وجود الله ولزوم عبادته.

4-عناصر الإيمان الستة توجه العقل البشري لضرورة الايمان بالقدر، فالإيمان بقدرة الخالق يشمل الإيمان بما قدره وعلمه الذي أحاط بكل شيء، وكتابة الملائكة والتي تشمل المقادير والمجريات منذ بدء الحياة وإلى نهايتها على هذا الكوكب يثبت غيبية علم الله وسابق معرفته لكل ذرة في السموات والأرض.

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

المبحث الثاني:-

شرح آثار وفوائد هذا التصحيح على جوانب عديدة من حياة المسلم فكريا وسلوكيا ونفسيا :-

حين يعي العقل المسلم تلك المعادلة الغامضة والتي توفق بين معاني الإجبار والتسيير وقدرة الإنسان على الاختيار، يصل حتما إلى حالة من التصالح مع الذات ينعكس على جميع النواحي في حياة المسلم، منها الناحية الفكرية والتي تستفيد إيجابا من الوعي بالمعنى الصائب للتسيير والتخيير في محاور عديدة ، أولها من الناحية الفكرية والعقلية فالمنطق السليم يتفق مع الإيمان بالقضاء والقدر عقليا، ويرتاح العقل الرشيد ويستكين للتفريق بين ما هو مجبر عليه وما هو في حالة حرية لاختياره، مما يورث التفكير الإبداعي السليم ويرفع من مستوى القدرات الذهنية ويقويها.

وعلى المستوى النفسي فلا يخفى على ذي اللب مدى أهمية التسليم بقدرة الله وجريان أقداره في التخلص من رواسب الشعور بالاضطهاد وبراثن الكآبة والقهر والتزعزع، فالمسلم الحصيف يجاهد ويحاول ولايصارع قدره فيسلم إن أراد الله شيئا وإن خالف رغبته، ومن ناحية مغايرة فالتصديق بمبدأ الإرادة والقدرة على الاختيار يورث في النفس سلاما واستقرارا ينشأ من إتاحة الحرية في الاختيار وعدم وجود الإجبار في كل منحى.

وعلى الجانب السلوكي والاجتماعي فالعارف في شأن الفرق بين التسليم بقضاء الله والاحتجاج بالإرادة الإنسانية، إنما يربح برنامجا سلوكيا يلتزم به ويكون راقي المستوى وصائب التصرف، مما يعينه على خلق نموذج سويّ على المستوى العائلي أو الاجتماعي أو المهني، بل حتى في علاقة الإنسان مع ذاته يحدث السمو والتعالي على الترهات فالشماعة المعدة أبدا لتعليق كل ناقصة من فكر وقناعة تؤدي حتما إلى سوء السلوك وسيطرة البذاءة السلوكية والقولية ولا شك.

نتائج وتوصيات

توصلت الباحثة لعدد من النتائج في هذه الدراسة مفادها كما يلي:-

1-القضاء والقدر منوطان بأمر الله وإحاطة علمه، والمقادير مسجلة ومكتوبة في اللوح المحفوظ لكل البشرية ولكل ما هو كائن، إما كتابة جبر أو كتابة علم وإحاطة ، ولهذا وجب على المسلم معرفة وإدراك هذا الشأن الدقيق والفرق بينهما بما لا يدع في قلبه مجالا لشك أو تحير وبما يصلح دينه ودنياه.

2-التسيير والتخيير أمران لا يتعارضان فالإنسان بينهما يعيش ويستمر في هذه الحياة الدنيا، وليس هناك تخيير مطلق للإنسان ولا تسيير مطلق، والدنيا مابين هذا وذاك وهذا ما يجعل الحياة أيسر وأسهل.

3- مشيئة الإنسان لا تكون إلا بمشيئة الخالق، وسنة الله في الكون الاختيار لذا منح لعباده ذات القدرة في حدود قننها بقدرته وحكمته، ولهذا فمن يدعي أن الإنسان مجبور ومقدر له ذنوبه وآثامه نفند حجته وندحض قناعته بأن الذنوب إنما يرتكبها الفرد بمسؤولية تامة ويفعلها اختيارا ولولا ذلك ما كان الحساب والجزاء يوم القيامة، وفي هذا قمة العدل والإنصاف الإلهي.

وتوصي الباحثة بعدد من التوصيات تتلخص فيما يلي:-

1-توصي وزارة التعليم بإعداد مقرر عن أهمية الإيمان بالقدر وتبيين معنى التسيير والتخيير وكشف الحقائق المتعلقة بهما وذلك للتخلص من النظرة المختلطة والمشوهة حول هذا المضمار بما يبعد المسلم عن اقتراف الذنوب ويقربه من المسارعة في الطاعات.

2-توصي الباحثة وسائل الإعلام تمحيص ما يظهر من نتاجها من نصوص ومواد وإنتاج فني منافي لمفهوم القدر ومفهوم الإرادة الإنسانية بما لا يصنع طاغية متجبرا ولا يخلق مخلوقا سلبيا يكون إمعة يسقط انحرافه على تبريرات مقولبة ينتج عنها جيل فاسد وكثير الزلات.

3-توصي المنابر الثقافية بعقد المحاضرات والندوات المبرهنة على معاني التسيير والتأخير الصائبة والغير مغلوطة.

4-توصي الدولة ومؤسسة القضاء باتخاذ التعزيرات وسن القوانين الرادعة لكل خطأ وانحراف في جميع المجالات وذلك لتعميق معنى المسؤولية والالتزام بشروطها وحينها يحدث المكسب في الدارين بحول الله تعالى .

5-توصي الباحثة الباحثين وتهيب بالمفكرين وأهل العلم بزيادة البحث والتقصي في هذا الشأن خاصة ميدان تأكيد الاستفادات التربوية والنفسية والاجتماعية على الفرد والمجتمع جراء تصويب الفكر وتصحيح المعتقد في مسألة التسيير والتخيير.

كما تهيب الباحثة بأهل العلم والفقه بأن يقفوا كجلمود صخر في مواجهة المرجفين والمضللين حول هذا الموضوع ومن يريدون أن تعيث الأرض فسادا بمفهوم خاطئ يزيد اقتراف الإثم ويقفل باب الاجتهاد في الطاعة.

خاتمة

تناولت هذه الدراسة الفرق بين مفهومي التسيير والتخيير والتأصيل لكل منهما، وأصدرت الباحثة عددا من النتائج توضح كيفية الاختلاف بين المقادير المكتوبة جبرا والمقادير المكتوبة علما وإحاطة، وتم تبيين الآثار المهمة والنافعة للفهم الصائب لهذا الفرق بما ينعكس إيجابيا على المسلم في شتى النوحي الحياتية وأيضا على مستوى الإيمان والتدين، فعناصر الإيمان الستة توجه العقل البشري لضرورة الايمان بالقدر، فالإيمان بقدرة الخالق يشمل الإيمان بما قدره وعلمه الذي أحاط بكل شيء، وكتابة الملائكة والتي تشمل المقادير والمجريات منذ بدء الحياة وإلى نهايتها على هذا الكوكب يثبت غيبية علم الله وسابق معرفته لكل ذرة في السموات والأرض.

وأن الإرادة الإنسانية تكليف لا تشريف يستدعي الأخذ بالأسباب وإقرانه مع التوكل بالله بصورة معتدلة ومتوازنة.

نرجو النفع والصلاح وأن أكون وفقت في هذا البحث وتم تحقيق أهدافه .

والله من وراء القصد.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

الأشقر، عمر سليمان، القضاء والقدر، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط13، الأردن، 1424هـ.

البخاري، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

البغوي، أبو محمد الحسين، تفسير البغوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 1420هـ.

ابن كثير القرشي البصري، أبي الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ.

بن منظور،محمد، لسان العرب، دار صابر، بيروت، ط1.

ابن حزم، أبو محمد علي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، المطبعة الأبية، ط1، 1320هـ.

ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ط1، القاهرة ، 1299هـ.

ابن خلدون، المقدمة ، تحقيقد.علي عبد الواحد، طبعة لجنة البيان العربي، ط2، 1400هـ.

ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد أهل الملة ، تحقيق د.محمود قاسم، مكتبة الانجلو، القاهرة، 1955م.

ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة ، 1967م.

ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، مطبعة الإمام، القاهرة.

ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، مكتبة الطائف، السعودية .

أسد، محمد: الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ،)بيروت: دار العلم، ط، ١٩٨٣م(.

البوطي، محمد سعيد، الإنسان مسيّر أم مخيّر، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت، 1422هـ.

الجابري، محمد عابد: التراث والحداثة،)بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٩١ ١٩م(.

الجوهري، إسماعيل: الصحاح في ال لغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،)بيروت: دار العلم للملايين ، ط1 ، ١٩٩٠م(.

حسين، طه: مستقبل الثقافة في مصر،)القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع، ط1 .

حسنة، عمر عبيد: رؤية في منهجية التغي ير،)بيروت: المكتب الإسلامي، ط، 1994م.

حمدوشي، الحسن: "التجديد الفكري: قراءة في المفهوم مجلة الكلمة، العد د 50، السنة ١٣، 2009م.

الدسوقي، فاروق، القضاء والقدر في الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة.

الذهبي، شمس الدين، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.

القرطبي، أبي عمر يوسف، الاستذكار الجامع دار المعرفة، بيروت 1410هـ.

المصري، ابن نجيم، البحر الرائق، دار الكتاب الإسلامي، ط2.

السمرقندي، محمد بن أحمد، تحية الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1414هـ.

الشافعي، أبو الحسين يحيى، البيان في مذهب الإمام الشافعي، دار المنهاج، جدة 1421هـ.

الخرساني، أحمد بن الحسين، معرفة السنن والآثار، دار قتيبة، دمشق، ط1، 1412هـ.

قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط17، 1412هـ.

الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، ط1، 1400هـ.

الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ.

عبيد، رؤوف، في التسيير والتخيير، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، 1403هـ.

الغزالي، أبو حامد، مشكلة الأنوار، تحقيق دكتور أبو العلا عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1388هـ.

الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد، دار الكتب، القاهرة.

المدني، مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1406هـ.

المرتضى، إنقاذ البشر من الجبر والقدر، مطبعة الراضي، 1354هـ.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.